Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 50, No. 3, 2023

Deanship of Scientific Research

Contextualizing the Quranic Text: An Analytical Study of the Verses about Hypocrites in Surat At-Tawbah

Nahla -Al-Shalabi *

Department of Arabic Language and Literature, College of Education and Humanities and Social Sciences, Al Ain University, Abu Dhabi, the United Arab Emirates.

Received: 3/7/2022
Revised: 6/10/2022
Accepted: 8/3/2023
Published: 30/5/2023

* *Corresponding author:*
nahla.alshalabi3373@gmail.com

Citation: Al-Shalabi, N. (2023). Contextualizing the Quranic Text: An Analytical Study of the Verses about Hypocrites in Surat At-Tawbah. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *50*(3), 554–561.
https://doi.org/10.35516/hum.v50i3.1415

Abstract

Objectives: This study aims to examine the Quranic textual connections to the occasions of revelation, which, as demonstrated in this research, cannot be overlooked when contemplating, interpreting, and understanding the logic behind the verses of the Holy Quran. The occasion of revelation always represents a story rooted in reality. Consequently, linking Islamic rulings to events, people, times, and places aids in instilling knowledge. This study emphasizes the importance of the occasion of revelation in questioning the Quranic discourse, revealing its secrets and implications, and thus, it is a significant aspect of the sciences of the Quran and Quranic hermeneutics.

Methods: The study adopts a linguistic analytical approach to examine the verses about hypocrites in Surat At-Tawbah, focusing on the harmony between form and content. The form is based on the phonological structure as well as the linguistic structure, which encompasses two levels: morphological and grammatical/syntactic. The content, on the other hand, is associated with the text's lexical and semantic purposes.

Results: The analytical approach, relying on the two aforementioned levels of form and content, reveals that employing syntax (grammar) is crucial in determining the semantic significance and identifying points of discrepancy in the verses while adhering to strict structural rules, thereby indicating specific connotations related to the occasions of revelation.

Conclusions: The study recommended the need for identifying the root causes of the occasions of revelation is essential because it helps determine the context of the Quranic verses and the circumstances surrounding them.

Keywords: Context, Quranic discourse, occasions of revelation, semantic significance, textual connections.

مقاميّة النّصّ القرآنيّ دراسة تحليليّة "آيات المنافقين في سورة التّوبة نموذجًا"

نهلة الشّلبي*

قسم اللغة العربيّة وآدابها، كليّة التربية والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة العين، أبو ظبي، الإمارات العربيّة المتّحدة.

ملخّص

الأهداف: يتلمّس البحث مواطن الارتباط النّصيّ في الخطاب القرآنيّ بأسباب نزولها؛ إذ لا يمكن إغفالها عند تدبّر آيات القرآن الكريم، ومعرفة تفسيرها، وقصد سبيلها، بعَدِّ أسباب النّزول قصّة، تستمدّ عناصرها من الواقع؛ لأنّ ربط الأحكام بالحوادث والأشخاص والأزمنة والأمكنة، يساعد على استقرار المعلومة وتركيزها في الأذهان، فهي إذًا مفصل رئيس في استنطاقه، والكشف عن أسراره ومضمراته، ومحور مهم من محاور علوم القرآن وتفسيره.

المنهجيّة: يرصد البحث آيات المنافقين في سورة التّوبة، ويدرسها دراسة تحليليّة لغويّة، متخذًا الانسجام اللّغويّ بين المبنى والمعنى محلًّا للدّرس؛ إذ يقوم الأوّل من جهة على متغيّر البنية اللّغويّة، بمستوييها: الصّرفي، والنّحويّ (التّركيبيّ)، ومن جهة أخرى على متغيّر البنية الصّوتيّة، أمّا الثّاني فيرتبط بمقاصد النّص المعجميّة والدّلاليّة.

النتائج: تبيّن في المبحث التّحليليّ على المستويين السّابقين، أنّ النّظر في علم التّركيب(النّحو) يعدّ مفصلًا رئيسًا في التّوجيه الدّلاليّ، والتّلمّس المعرفيّ لمواطن التّباين المثبتة في الآيات، ضمن قواعد تركيبيّة محكّمة، تجلّت فيها منارات للتّحليل، توجّه الأفهام إلى دلالات مخصوصة ترتبط بأسباب النّزول.

الخلاصة: معرفة الأسباب رافعة لكلّ مشكل؛ لأنّ معرفتها تعني معرفة مقتضى الأحوال.

الكلمات الدالة: الخطاب القرآنيّ، المقام، أسباب النّزول، الارتباط النّصيّ، التّوجيه الدّلاليّ.

© 2023 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المقدمة

انطلاقًا من إيماننا بمطلق قدرة الله، نعرف أنّه (ﷻ) لا يعجزه الإيحاء بكتابه العظيم إلى نبيّه الكريم(ﷺ)؛ لفرض الشّريعة الإلهيّة المثلى، دون توطئة أو تأويل، فهو القادر على كلّ شيء، مالك الملك صاحب الأمر والنّهي، لا يُسأل عن أمر ولا يُطلبُ منه تعليل، ولكن لعلمه (ﷻ) أنّ الإنسان يقصر عقله أمام مُرادات الله، ويحتاج إلى مفاتيحَ لبناء التّصورات وإدراك المُرادات، ثمّ القياس عليها؛ لتسطير المناهج للأمم على أسس الشّرائع الحقّة؛ ولأنّ الله تعالى كرّم بني آدم على العالمين، اختار لهم هذه الصّفة الّتي تستدعي بالضّرورة رحمته وإعانتهم؛ من ثّم ارتبطت الكثير من الآيات القرآنيّة بأسبابٍ جليّة ظاهرة لنزولها، ومنها ما كانت أسباب النّزول الخاصّة بها مؤوّلة، ومنها ما اجتهد أهل التّفسير في استظهار أسباب نزولها إلى الحدّ الّذي شاء الله أن يكون، أمّا ذلك الاجتهاد فهو عند أهل العلم ضربٌ من العبادة الصّادقة، الّتي عني أهلها بالإخلاص فيها سعيًا وراء فهم النص القرآني؛ لتتصدق الأفهام بالتّصوّرات المتعلقة بحوادث القوم الذين كانت تنزل فيهم الآيات، وهو ما شكّل اختلافًا في إدراك الآيات الّتي تحقّقَ لها التجلي في أسبابِ نزولها، فعملت تلك الأسباب عملَ النّور الّذي يكشف جميعَ أحكامها ومكنوناتها، من هنا كانت الأهمية الكبرى لأسباب النزول للوقوف على المقاصد القرآنيّة، وتنحية الخلاف ما أمكن لرفع الإشكالات في فهم بعض الآيات المرتبطة بأسباب نزول داخلها غموض؛ بغية تحقيق ربط نصيّ منسجم بين الآيات حسب تفسيرها؛ ليكتمل الفهم الحقيقيّ للأحكام الشّرعيّة بصورة معلّلة، تظهر الحكمة الّتي تخاطب العقل، والله أعلم.

ولأنّ سورة التّوبة الّتي تبّرأ الله فيها من المنافقين، تجلّت فيها مواطن فضحهم، وكشفت السّتار عن كذبهم، وأظهرت على الملأ ما عزموا عليه وامتلأت به قلوبهم وصدّقوه بالعمل سوءًا وفتنة، فقد تراءى لهذا البحث اختيار آيات هذه السّورة الكريمة نموذجًا للتّحليل.

وعليه، فقد قسّمنا البحث لتحليل الخطاب الإلهيّ إلى مبحثين، يتّجه الأوّل منهما اتّجاهًا نظريًا؛ حيث يقوم على إثبات أنّ (سبب النّزول) يعدّ مقامًا، أمّا الثّاني فيتّجه اتّجاهًا تحليليًّا، حيث يربط البحث نصّ الآيات المختارة (نموذج التّطبيق) بأسباب نزولها.

التّمهيد:

تتناظم الألفاظ باتساق ضمن معيارِ توافق الوزن بينَ المبنى والمعنى للكلام، فالكلام المنبثق عن ارتباط مفردات اللّغة ضمن نسق تركيبيّ ومعجميّ تحكمه الأصول اللغوية، لا بُد أن يكون صاحبه، وهو العاقل بالضّرورة قد ذهب إلى بنائه لغاية معنوية محدّدة أراد إرسالها؛ إذ التّواصل في عمومه لا ينفك عن كونه نواة الأُنس، والتبادلية الفكرية بين النّاس، وعلى وجهِ الخصوص، فلا بدّ لكل كلام وخطاب من غاية وسبب مباشر دعا إلى الشّروع فيه، فاقتضى الأمر فصاحة المتكلم لضمان وصول رسالته بأصلح العبارات الّتي تمنح الكلام نافذة من التصور عند المخاطب؛ ليوثق غرّة الكلام بالفهم والإدراك فيعقله، إن تلك العملية المركبة من اشتراك بين الألفاظ ضمن النّسق، تحت حكم المعايير اللّغوية في عمومها وخصوصها، وارتباطها بمقتضيات أحوالها ومناسبات إنشائها، أطلق عليها الجرجاني اسم (النّظم) معتبرًا تحقيق الانسجام بين كل محتويات تلك المنظومة أساسًا لتحقيق الفصاحة؛ إذ قال: "وهل تجد أحدًا يقول: هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النّظم وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها" (الجرجاني، 2005)، وقد عبّر عن ذلك بمفهوم السّياق حينئذ قال: "فقد اتّضح إذن اتضاحًا لا يدع للشك مجالًا أنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرّدة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأنّ الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، أو ما يشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ". (الجرجاني، 2005، 48)

وبذا، فإنّ الكلام (التّركيب) يوظّف في المواقف المرتبطة بمقامات، أي (مقاصد) استعماله الّتي تتّخذ صورًا عديدة؛ لتؤدّي معنى مختلفًا عن المعاني الّتي تؤدّيها الصّور الأخرى (السّكّاكي، 2000)، حيث تشكّل كلّ كلمة مع صاحبتها نسيجًا تعبيريًّا يسمّى مقالًا، أي (نصًّا) أو(خطابًا)، مرتبطًا بالمقام.

المبحث الأوّل المقاميّة(أسباب النّزول) وعلاقتها بالنّصّ

لم يكن جهد النّحاة في دراسة النّصّ القرآنيّ أقلّ من جهد علماء التّفسير والبلاغة في الوقوف عليه؛ إذ تعرضوا له بالشّرح والتّحليل ورصد الظّواهر النّصيّة: كالإحالة والرّبط والتّكرار، مستكشفين أسرار الإعجاز البياني في القرآن الكريم بدراسة شاملة للنّص، تتناول التبصر بالسّياق العام للآيات، وإمعان النّظر في جميع الدواخل المقامية وربطها مباشرة أو بالتأويل بمباني الكلام الإلهي، ولم يكن ذلك بأشكال ذات اقتصار على الموضع الواحد في التّركيب، بل كان التّناول يتسعُ جامعًا عمومَ النص القرآنيّ، بصورة تضمن أخذ جميع الاحتمالات اللّغوية على قدر الطّاقة، ومناقشة جميع العلاقات التّركيبيّة داخل التّركيب الواحد من جهة، والعلاقات النّصيّة بين الآيات، مع مراعاة المقامات العامّة والخاصّة المرتبطة بأسباب النّزول المتعلّقة بالآيات، وقد اهتم أولمان بهذا الجانب اللّغوي واعتبر ارتباط النّصّ بمقامه ضرورةً في أصالته وبناء مضمونه بقوله: "السّياق ينبغي أن يشمل، لا الكلمات والجمل الحقيقيّة السّابقة واللّاحقة فحسب بل والقطعة كلّها، والكتاب كلّه، كما ينبغي أن يشمل- بوجه من الوجوه- كلّ ما يتّصلُ بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللّغويّة المتعلّقة بالمقام الّذي تنطق فيه الكلمة، لها هي الأخرى أهميّتها في هذا الشّأن" (أولمان، د.ت)، فالمقام إذًا نتاج مزيج من العلاقات الصّوتيّة والصّرفية والمعجميّة وهو ما عُرف بالنّظم في اللّغة. (استيتيّة، 2005)

والنّاظر في فلك البلاغة العربيّة، لا سيما علمي "البيان والمعاني"، يرى جُموم العلوم تدور فيه، مثل الإعجاز في نظم القرآن، والمقاصدِ الأُوَل في مضامين التّراكيب والجُمل، من المناشئ حتّى المنتهيات في كلام العرب وعلائقه بمقاماته ومقتضيات أحواله؛ من ثمَّ تمّ لنا إدراك الأهميّة في الوقوف على المرادات والمقاصد، وغمس البصر في أساسِ المقامات والأسباب بمساراتها العامّة والدّقيقة.

فأسباب النّزول تتناول الأحداث والحوادث بحيثيّاتها وأزمانها، والمناسبات الّتي ارتبطت بموضوعات نزل بشأنها القرآن الكريم في حينها، وهو ما جاء في تعريف الشّيخين: الزّرقاني، والقطّان.

أمّا الزّرقاني(ت 1367هـ)، فقد قال في أسباب النّزول: "إنها ما نزلت الآية أو الآيات متحدّثة عنه أو مبيّنة لحكمه أيّام وقوعه" (الزّرقاني، 2013)، ثم إنّ القطّان (ت 1420هـ) قال فيها: "ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال" (قطّان، 1980)، وفيما سبق ذكره وضوح جليّ لدلالة الحال المرتبطة بمتغيّرات أطراف الخطاب، وبالحالات النّفسيّة أو الذّهنيّة للإنسان وتقلّباتها على نحو يشمل جميع الأسئلة والمواقف ضمن ظروفها وأحوالها بمتغيرات أحداثها بين الصّحابة، وعليه فإنّ القرآن جاء بوصف تلك العقدِ الحالّةِ وحلِّها.

والبحث في الموضوعات والفتاوى والتّساؤلات العلميّة حول الأحداث والحوادث يرتبط بموضوع سبب النّزول (السّيوطي، 2013)، الّذي يعتبر محورًا في توجيه التّفسير القرآنيّ، فهي عند الشّاطبي (ت790هـ) من ضرورات المعلومات التي تعين المفسّرين على تثقيل الثّقة في رؤى تفسيريّة دون غيرها؛ إذ بان ذلك في قوله: "معرفة أسباب التّنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن، والدّليل على ذلك أمرانِ أحدهما: أنّ علم المعاني والبيان الّذي يعرف به إعجاز نظم القرآن، فضلًا عن معرفة مقاصد كلام العرب، إنّما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال؛ حال الخطاب من جهة نفس الخطاب أو المخاطِب أو المخاطَب أو الجميع؛ إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين وبحسب مخاطبين وبحسب غير ذلك؛ كالاستفهام لفظه واحد، ويدخله معانٍ أخر من تقرير وتوبيخ وغير ذلك، وكالأمر يدخله معنى الإباحة والتّهديد، ولا يدلّ على معناها المُراد إلّا الأمور الخارجة، وعمدتها مقتضيات الأحوال". (الشّاطبيّ، 2011)

المبحث الثّاني: تحليل آيات المنافقين في سورة التّوبة

المثال الأوّل: قال تعالى: ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ** ﴾. [التّوبة: 49]

يفيد حرف الجرّ **(من)** المسند إلى ضمير يعود على المنافقين في شبه الجملة **(منهم)** التّبعيض، وفي هذا إشارة من الله تعالى إلى أضرب النّفاق الّذي مثّله عمل (جدّ بن قيس) في استئذانه للتخلّف عن غزوة تبوك. ذكر الله تعالى عملهم بتركيب الجملة الفعليّة الّتي تفيد الاستمرار والتّجدّد **(ومنهم الذي يقول)**؛ إظهارًا لإصرارهم وإلحاحهم على أمر التّخلّف (القعود) عن الغزوة، وقد أرادوا أن يجعلوا ذلك حلالًا لهم بإذن رسول الله (ﷺ)، وذلك بطلبهم الموافقة على وجه التّخصيص الظّاهر في ضمير المتكلّم (الياء) في شبه الجملة **(لي)**، والفعل **(تفتنّي)** دون تأدّب مع مقام الرّسول الكريم؛ إذ عطف المنافق على فعل الطّلب أسلوب نهي بقوله: **(تفتني)** دون أن يقدّم ذلك بصيغة الالتماس والدّعاء، ونحن نعلم أنّ صاحب المنزلة العليا لا تليق مخاطبته بالأمر والنّهيّ دون ما يظهر علوّ منزلته على صاحب الطّلب.

ويستأنف الله تعالى بـ(ألا) الاستفتاحيّة في قوله تعالى: ﴿ **أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا** ﴾ مطلقًا عليهم بأنّهم راسخون في الفتنة بالجملة الاسميّة الّتي تدلّ على الثبوت، والفعل الماضي **(سقطوا)** الذي يدلّ على أنّهم ساقطون في فتنتهم مسبقًا منذ عقدهم النيّة على التّخلّف. وأكدّ الله تعالى بخبرٍ إنكاريّ في قوله: ﴿ **وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ** ﴾ تأكّد بـ**(إنّ)** واللّام المزحلقة استغراقًا في توثيق حكم الله عليهم رغم إنكار قلوبهم لقدر الله ورسوله، فلو أنّهم يعظّمون الله في قلوبهم ويقدّرونه حقّ قدره، لما عظّموا أمرًا فوق أمر الله يتذرّعون به، وهو ما يتناسب مع ما صحّ من سبب نزولها في جدّ بن قيس المنافق، المغرم بالنّساء، الّتي نقلها الواحديّ بقوله: ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي** ﴾ نزلت في **جدِّ بن قيس** المنافق، قال لرسول الله (ﷺ): "هل لك في جلاد بني الأصفر، تتخذ منه سراري وُصفاءَ؟"، فقال: يا رسول الله، لقد عرف قومي أنّي رجل مغرم بالنّساء، وإنّي أخشى إن رأيت بنات (بني) الأصفر أن لا أصبر عنهنّ، فلا تفتني بهنّ، وائذن لي في القعود عنك فأعينك بمالي". (الواحدي، 1992)

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾. [التّوبة: 58]

يُرى المقام المتعلّق بالأشخاص والأفعال من خلال التّركيب بوضوح؛ إذ التّعبير عن الفاعلين في الفعلين (رضوا، ويسخطون) المسندين إلى واو الجماعة، أفاد الاجتماع على دلالة الفعلين بثبات وإصرار بعد تفكّر وتداول ظهرا بمقتضى الضّمير الجمعيّ، فتفعيل الأمر تمّ بتوافق وإحاطة كاملة لدلالتي الرضا في موضع والسّخط في الموضع المقابل، ثمّ إنّ الإسناد إلى ضمير الغائبين في الموضعين، انسجم مع الحديث عن المنافقين من حيث إنّهم مجهولة هويّاتهم ومعلومة صفاتهم، وقد ناسب الحديث عن المنافقين إسناد الفاعل المستتر في الفعل(يلمزك)، ففيه استغراق خفاء بغموضين (الاستتار والغياب) ومنه قوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ** ﴾. [المؤمنون: 7]

أمّا عن البنية الزّمنيّة للأفعال ففيها تفصيل؛ إذ الفعل الماضي (رضوا) المُوجَّهُ لفظُه بعلامة بناء فرعية(الضّم) بأثر ضمير المنافقين (واو الجماعة)

وفي هذا انحراف عن أصل البناء، فقد قصر زمنه إذ ارتبط بالماضي وبُتر دوامُه، فلا صلاح فيه للحاضر، ما يفيد عجلة زواله، ثمّ إنّ صيغة المضارع في الفعل (يسخطون) تكفل الاستمرار والتّجدّد لما للزمن الحاضر من دلالة على ذلك من جهة، ومن جهة أخرى إنّ تمام البنية فيه تومئ بتمام دلالته وعدم نقصانها؛ إذ السّخط هنا جامع لكل معانيه وأشكاله، بتأكيد صوت اللّين الواو المتبوع بصوت النّون ذي المخرجين(فمويّ أنفيّ)، والجملة الفعلية هنا جاءت مُتِمَّةً جملةً اسميةً (هم يسخطون)، الّتي أفادت ثباته على هيئة، ثم تمّت المبالغة في أحوال السّوء عندهم؛ إذ لبسَ قرار الثّبات عندهم رداءَ التّجدد والاستمرار في السّوء.

وهو ما يتناسب مع ما صحّ من أسباب النّزول، التي نقلها الواحديّ قائلًا: "بينما رسول الله (ﷺ) يقسّم قسمًا؛ إذ جاءه **ابن ذي الخويصرة التميميّ، وهو حرقوص بن زهير** أصل الخوارج، فقال: "اعدل فينا يا رسول الله"، فقال: ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل؟ فنزلت فيهم: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا ﴾. (الواحدي، 1992)

المثال الثالث: قال تعالى:﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾. [التوبة: 61]

هي عادة الكافرين في رمي المقامات العلى؛ فقد تجرّأ بنو إسرائيل على الله ونعتوه بالفقير، عندما كرّم الإنسان بقبول قرضه الحسن، الّذي يضاعف أجره وثوابه في قوله: ﴿ **مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا** ﴾ [البقرة: 245]، ثمّ جاء على لسان المنافقين في هذه الآية أنّ النّبي(ﷺ) بسيط القدرة وقليل الحكمة من إدراك الكذب، باعتباره سمّاعًا مصدقًا لكلّ ما يسمع دون تدبّر وتمييز بين ما يقبل وما يردّ، وذلك لما جاء على لسان **(نبتل بن الحارث)** وغيره من المنافقين على اختلاف الرّوايات بأنّ(النّبي) أذن تسمع وتصدّق كذب المنافقين؛ للدّلالة على ضعفه وتقليل شأنه والكفر بنبوته التي تقتضي بالضّرورة أن يعلمه الله شأن المنافقين، فيأتي كلام الله في الآية نفسها بقوله: ﴿ **قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [التوبة: 61]، مؤكّدًا بأنّه يسمع الكلام كلّه ولا يصدق إلّا الخبر السّليم الصّادر عن الصّادقين، وتصديقه هذا فيه حفظ لهم ولأسرارهم وتكريم للمؤمنين، فليست الغاية من قدرات الأنبياء الغرور وإبهار النّاس بقدر أهميتها لاستعمالها بالحكمة لهدايتهم لا لفتنتهم، وفي ذلك إشارة إلى أنّ العدالة الإلهية والخير في صفات النبي (ﷺ)، تقتضي ألا يبخس النّاس فرصهم في التّوبة والأوبة، ولو كان ذلك لظهرت الدّعوة على أنّها تحدٍ يرضخ النّاس بأقوالهم وأفعالهم، مفارقين بذلك قلوبهم وعقولهم الّتي وجلت من المعجزات دون أن تؤمن بعدالة الله عزّ وجلّ، وليس هذا منهج الله تعالى الماثل في قوله:﴿ **ولسانًا وشفتين ۞ وهديناه النّجدين**﴾ [البلد: 9-10]، ولا هو متّفق مع تكريم الإنسان الّذي اختار الله بقلبه وعقله إلا أنّ الخير في صمت النّبي (ﷺ) وترك فضح المنافقين في أوّل كذبهم فيه مرحمة لهم، وفرصة لهم للتّوبة قبل أن ينزل الله فيهم حكمًا من فوق سبع سماوات، وتكذيب النّبي (ﷺ) لهم هو بمثابة الحكم بدليل قوله تعالى:﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى** ﴾ [النجم: 3–4]، من ثمّ سيكون حال كلّ واحد منهم كحال أبي لهب بمجرد فضحه عرف حكم الله فيه، وبذلك ينقطع العمل العقليّ والمنهج القلبيّ في التّقرّب إلى الله بالتفكّر والتّدبّر.

وفيما سبق بيان لإيذاء المنافقين للنّبيّ (ﷺ) وقولهم فيه ما لا ينبغي، الأمر الّذي ينقلنا إلى جوّ سبب نزولها المتمثّل باجتماع نفر"من المنافقين فيهم **جلاس بن سويد بن الصّامت ووديعة بن ثابت**، فأرادوا أن يقعوا في النّبي (ﷺ) وعندهم غلام من الأنصار يدعى: **عامر بن قيس** فحقّروه، فتكلّموا وقالوا: والله لئن كان ما يقول محمد حقًا لنحن شرّ من الحمير. فغضب الغلام وقال: والله إنّ ما يقول محمد حقّ وإنّكم لشرّ من الحمير، ثمّ أتى النّبي (ﷺ) فأخبره، فدعاهم فسألهم، فحلفوا أنّ عامرًا كاذب وحلف عامر أنّهم كذبة، وقال: اللهم لا تفرّق بيننا حتّى تبين صدق الصّادق من كذب الكاذب، فنزلت فيهم: ﴿ **وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ** ﴾. [التوبة: 61] (الواحدي، 1992)

المثال الرّابع: قال تعالى: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴾. [التّوبة: 64]

اجتمعت الآراء على أنّ موضوع الآية وسبب نزولها مجموع في فعل المنافقين وما يضمرونه من سوء للنّبي؛ إذ يحرصون ويتيقّظون في أمانهم راغبين أنْ لا يفضح الله السّوء فيهم، بجرأة وصلت إلى حدّ الاستهانة بشأن الله ورسوله؛ إذ لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، ولكنّ حرصهم وأمنياتهم، لم تستر خبيئة السّوء بينهم، فقد فضحهم الله على الأشهاد بآيات تخبرهم ما يسرّونه ويصرّون عليه، وكان حجة عليهم وعلّة في خفض شأنهم، وإنزالهم على قدر منازلهم الموضوعة من سوء فعلهم من استخفاف بجلال الله وبرهان النّبوّة ومرمى الرّسالة المقدّسة.

بدأت الآية بالفعل المضارع **(يَحْذَرُ)**، الّذي يفيد الاستمرار وتجدّد الفعل والدّوام عليه على سبيل الاعتياد، وكأنّ الأمر صار عند المنافقين سلوكًا لا تكلّف فيه، وهذا يدلّ على غفلة عن قدرة الله وأمن من مكره وفي ذلك خسران مبين، وعدم قدر الله حقّ قدره.

يظهر العليّ القدير إقبالهم على الأمر بأنفسهم، وذلك من خلال استعمال الصّيغة الصّرفيّة **(المنافقون)** وهي اسم فاعل مشتقّ من الفعل (نافق) المزيد بألف المشاركة، وفي ذلك أنّ القائم فيه أصبح يشارك مع الكفر ويستمرئه كأنّه اطّبع فيه، وجَمْع الله تعالى لهم على المذكّر السّالم يؤكّد فيه أنّهم يعقلون ما يفعلون؛ إذ إنّه خاصّ بالعاقلين، وفي ذلك تحدٍ جليّ لا يغطيه الكذب، وهو من الذّنوب الّتي لا معذرة فيها لحدوثه بعد وعي وإدراك للحقّ ثمّ

التّآمر عليه بخبث وسوء، ويدلّ على ذلك معنى النّفاق الّذي يجتمع فيه الإظهار والإضمار والتّرتيب في استعمالهما الّذي لا يكون إلّا بعد تفكير وتقدير.

أمّا استعمال الفعل **(تُنزّل)** بصيغة المبني للمجهول، فهو إشارة إلى أنّ المنافقين لم ينظروا إلى المُنزِل بقدر أهميّة النّظر إلى المُنزَل؛ إذ عنوا بما يفضحهم متغافلين عن قدرة الله وإرادته في ذلك، وظنّوا أنّ حذرهم ومكرهم يؤمنهم ويسترهم، وهذا – أيضًا – يظهر الاستهانة بجلال الله وقدرته، فخوفهم من إفشاء سرّهم ظاهر في سبب نزول الآية، الّذي ساقه الواحدي بقوله:" قال السّدي: قال بعض المنافقين: والله لوددت أنّي قدمت فجلدت مائة ولا ينزل فينا شيء يفضحنا، فأنزل الله هذه الآية". (الواحدي، 1992)

أمّا حرف الجرّ **(عليهم)**، فيفيد الاستعلاء وخفضهم دون ما ينزل في كفّ تحقيرهم وإخبارهم بحقيقة إظهارهم الكذب، وإضمارهم السّوء في قلوبهم، ثمّ في مخاطبة الله للنّبي (ﷺ) فيبدأ بالأمر الحقيقيّ بالفعل (قل) وهو النّافذ المتحقّق، لا سيّما أنّ الآمر هو الله والطّائع هو رسوله الكريم، وفي هذا تقرير من الله في شأنهم وإطلاق الحكم عليهم لما غرقوا فيه من سوء، يدعوهم الله بلسان رسوله (ﷺ) إلى ذلك السّوء بالفعل **(استهزئوا)** المزيد(استفعلوا)، الّذي خرج إلى الصّيرورة، أي أنّ الاستهزاء ليس ما فطرهم عليه الله، إنّما صفة تكلّفوها، وبأمرهم الله اليوم أن يصيروا إليها بطمس الله على قلوبهم، حتّى يظنّوا أنّهم منتفعون بأعمالهم، ثمّ يظهر الله ما يخزيهم فيخسرون عرض الدّنيا والآخرة، وهذا يؤكّده الله – تعالى- بحرف **(إنّ)** ثمّ الخبر**(مُخْرِج)** وهو اسم فاعل، يدلّ على ثبات مصيرهم، ونفاذ أمر الله فيهم وإغلاق الحكم عليهم.

المثال الخامس :قال تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَ آيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ** ﴾. [التّوبة: 65]

لقد ذكر الله تعالى فعل المنافقين بأسلوب الخبر الإنكاريّ المنعقد باجتماع المؤكّدات في الفعل (لَيَقُولُنَّ)؛ إذ جاء جوابًا لقَسَم محذوف ووقعت فيه اللام المؤكّدة، ونون التّوكيد الثقيلة المدغمة بذاتها، في هذا وضوح أنّ الفساد قد طُبع في قلوبهم واستحكم في مسالكهم ومدارجهم، ثمّ يتأكّد ذلك بمقالتهم المؤكدة بالكاف والمكفوف الذي يفيد حصر أعمالهم في الخوض واللّعب، وعدم قدرهم الله حقّ قدره، ولا يجرؤ على كلّ ذلك مثل المنافقين الآمنين على أنفسهم بين ظهراني المسلمين، مُبطِنينَ السّوء والأذى في قلوبهم، ومن جهة أخرى ربُما يُفهم أنّ المؤكدات هنا توافقت مع المقام؛ إذ المقصود هم المنافقون الّذين برعوا وتفنّنوا في التكذيب ودوام عدم التّسليم لله، فهم تناوبوا بين المشكّكين وبين زاعمي التّصديق وهم في أنفسهم يُكذّبون، من ثم فإنّ استعمال الخبر الإنكاري يوافق صفاتهم المُنكِرة لمطلوبات الإيمان والتّصديق، وانخراطهم في محور وجوهر النّفاق، وهو ما يتناسب مع ما صحّ من أسباب النّزول، حيث روي عن" **قتادة**: بينما رسول الله (ﷺ) في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين؛ إذ قالوا: يرجو هذا الرّجل أن يفتح قصور الشّام وحصونها! هيهات له ذلك، فأطلع الله نبيه على ذلك، فقال نبيّ الله:

"احبسوا عليّ الرّكب" فأتاهم فقال: "قلتم كذا وكذا؟" فقالوا: يا رسول الله إنّما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله تعالى هذه الآية". (الواحدي، 1992)

المثال السّادس: قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾. [التّوبة: 79]

إنّ من السّائغ لغة أن نقول: "الّذين لا يجدون" دون استعمال لواو الاستئناف، حيث نجد لهذا الاستخدام شواهد في عربيتنا، فمنه قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التّوبة: 117]، وفي استعمالها بين الجملتين الاسميتين منع لأيّ لبس؛ لأنّ القارئ يشعر أنّ هناك فرق بين هؤلاء وأولئك، فالذين (يلمزون) يختلفون عن الذين (لا يجدون)، وفي مجيء الفعلين المضارعين نقل لصورة المنافقين واستمراريّتها، الّتي تظهر حالهم في التّعامل مع المؤمنين، الأمر الّذي ينقل القارئ إلى جوّ أسباب النّزول.

وإذا أجرينا مقابلة بين الفعلين (يسخرون، وسخر) سنلحظ أن هذا الاستعمال يعود إلى أسباب متعلّقة بمقاميّة الآية وهي: (حادثة السّخرية واللّمز وتوبيخ الفاعلين وتبكيتهم)، نجملها بما هو آت:

أوّلًا: يتضح معنى اللّمز في استعمال الفعل المضارع (يسخرون) الوارد في أوّل الآية. ولمّا كان اللّمز مضارعًا (يلمزون) وجب كون السّخرية (يسخرون) مضارعًا أيضًا، وإلا فالحادثة أو الحوادث تكون قد تمّت قبل نزول الآية.

ثانيًا: في استعمال المضارع إشارة إلى تكرار صدور السّخرية عنهم.

ثالثًا: ورد الفعل (سخر) بصيغة الماضي؛ ردّا على أعمالهم بعد مضيّها.

رابعًا: لا يعني استعمال الماضي (سخر) بالضرورة السّخرية المعروفة بين العباد، بل هي صدور حكم ربّانيّ لا رادّ له، وهو ما يتناسب مع صيغة الماضي دون المضارع.

خامسًا: جاء الفعل الماضي (سخر)؛ لبيان تحقّق العذاب ووقوعه دون أدنى شكّ، مهما تكّررت الصّورة على مرّ الزّمان، وهذا يناسب مقام التّوبيخ تعليقًا على الحوادث الّتي أشار إليها الحديث، الّذي أخبر به سعيد بن محمّد بسنده إلى ابن مسعود، وأورده الواحديّ في كتابه بقوله:" قال: لمّا نزلت آية

الصّدقة كنّا نحاملُ، فجاء رجل فتصدّق بشيء كثير فقالوا: مرائي، وجاء رجلٌ فتصدّق بصاع، فقالوا: إنّ الله لغنيّ عن صاع هذا، فنزلت: ﴿ **الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ** ﴾. [التوبة: 79] (الواحدي، 1992)

المثال السّابع: قال تعالى: ﴿ **الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾. [التوبة: 97]

بدأ النصُ القرآني موضعَ الدرسِ هنا بالجملة الاسمية **(الأعراب أشدّ كفرًا)**، الّتي تحمل دلالة الثّبات والجمود على الخبر، ما يومئ بأنّ ذلك الوصفَ في الأعرابِ أصيل غيرُ حادثٍ، بمثابةِ الطّبعِ في النّفسِ لا يبارحُها والنّفس إن طُبعت على أمر لا تفارقه بسماحةٍ ولين، بل ينبغي لها أن تجاهدَ في ذلكَ باحتضانِ مُكتسبٍ جديدٍ يملؤها ويطبعُ فيها منهجًا يهذبُها، وهذا يقلُّ احتمالُه؛ لما عليه الأعرابُ من عزلةٍ عن الحاضرة، فهُم في جمودِ النّمطِ البدائي الواحدِ، الّذي يسودُ حياتَهم، ويؤكّد ذلك ما ورد في اللّسان أنّ الرّجل الأعرابي هو البدويّ، حيث يجمع الأعرابيّ على الأعراب والأعاريب، فمن نزل البادية أو جاور البادين، وظعن بظعنهم، وانتوى بانتوائهم يسمّى أعرابيًا،...، قال الأزهريّ: والّذي لا يفرّق بين **العربيّ والأعراب والعربي والأعرابي**؛ ربّما تحامل على العرب....، وهو لا يميّز بين العرب والأعراب، فلا يقال للمهاجرين والأنصار أعراب، إنّما هم عرب؛ لأنّهم استوطنوا القرى العربيّة، وسكنوا المدن. (انظر: ابن منظور، 2002)

وعليه، فقد وصف الله (ﷻ) الأعراب في الآية بأنّهم أشدّ كفرًا ونفاقًا؛ بسبب جفائهم وقسوة قلوبهم، وقلّة معاشرتهم لأهل الصّلاح، فكفرهم ونفاقهم إذًا أعظم من أهل الحضر (انظر: الطّبري، 2001)، وهم أحرى ألّا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله؛ لأنّ صفة الجفاء والغلظة في طباعهم طاغية عليهم، فالله عليمٌ بأحوال قلوب عباده.

وهذا يتناسب مع ما صحّ من أسباب النّزول، حيث روى الواحدي الواحدي قائلًا:" نزلت في **أعاريب** من أسد وغطفان، و**أعاريب** من **أعراب** حاضري المدينة". (الواحدي، 1992)

أمّا الإخبارُ باسمِ التفضيل **(أشدّ)**، فهو استغراقٌ في ترسيخِ الثّباتِ الناجمِ عن الاسمية في نوعِ الجملة، ففي الاسمين **(أشد)** و**(أجدر)** تأكيد على أنّهم يذهبون في ذلك الوصف إلى أبعد من غيرهم، ومعنى الجدارة في الاسم **(أجدر)** هنا جاءت في غير المحمود من الصّفات، والمشهور عن الجدارة أنّها تليق بالحميد من الصّفات؛ إذ تحمل معنى الاستحقاق، ولأنّ الحقّ عدلٌ في صالح صاحبه فهو خير لا شر، أمّا وقد كان الحق هنا في غير النّافع فهذا أعظم من أن يدلّ على مجرّد الجهل الّذي يُغلبُ بالتعلّم والمعرفة، إنّما الدلالات هنا يثقل وزنها في ترجيح دلالة ابتعاد العلم بحدود الله، فضلًا عن أنّ الفعلَ **(يعلموا)** المنفيّ جاء مضارعًا متجددًا، ومن حيث إنّ معمولَه الفعل **(يعلموا)** هو**(حدود)** وهي أدنى ما يجب على المرء معرفته عن دينه، فهو أدعى إلى توثيق أنّهم ذوو طبائع جافّة، لا تترطّب بماء الإيمان ولا تستمرئه بسهولة، لأسباب منوطة بطبيعة حياتهم.

المثال الثامن: قال تعالى: ﴿ **وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنْ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ (101) وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (102) خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾. [التّوبة: 101-103]

تتجلى دلالةُ ثبوتِ النّفاقِ من خلال الجملة الاسميّة، ثم إنّ الفعلَ الماضي **(مردوا)** في معناه ومبناه فضح دلالة الطّغيانِ واللّجاجة في النّفاق، ففي معنى المرود طغيان وتجرّد لما هو ممرود له وفي هذا إصرار عليه وترك كلّ ما يجافيه؛ إذ مرود المرء على أمر هو انسلاخ عن كلّ ما سوى ذلك الأمر، وليس ثمةَ إصرار أعظم وأظهر ممّا أتى به هذا المعنى الكامل المستقر في معنى المرود، أمّا مبنى الفعل المقترن بواو الجماعة، فقد حملَ ملحظين زادا دلالة في الجرأة على الله في ذلك العمل؛ إذ نلحظ الأوّل في دلالة الزّمن الماضي، الذي يُفهم منه أنّ الفعل قد تم وانقضى أجلُ التّردد فيه، وهو بعدٌ اتخذهُ أهلُه ومكّنوا أنفسهم منه بعد تسويته وتهيئته بجهدٍ وتكلف، أمّا الثاني ففي الإسناد إلى واو الجماعة بيان بأن الأمر تبناه نفرٌ لا واحد، ما يظهرُ تناوبًا وتشاركًا في الإقدامِ المؤيَّدِ على الفعل، ووصولُ الأمرِ إلى مرحلةِ الإجماعِ عليهِ يعني بلوغه من النّفس مبلغ اليقين، لترى النّفس بعد حين تسوغ له وتدافعُ عنه وتغرسُ له العلل والبراهين حتّى يصبح الفعلُ في نظر المنافق صوابًا لا يرى غيرَه صوابًا، وقد أظهر لنا الله تعالى أنّ المنافقين غير معلومين لدى الرّسول الكريم بالفعل بالمضارع المنفيّ **(لا تعلمهم)**؛ ولأنّ استمرار علم الله بهم المتجلّي بالمضارع المثبت أمرٌ واقعٌ، اقتضى أن يُعلِم الله الرسول الكريم بأمرهم وحكمِه تعالى فيهم، الواضحِ في المضارعِ المسبوقِ بحرفِ الاستقبال القريب (السين) في الفعل **(سنعذبهم)**، أمّا المعترفونَ بذنوبهم فقد جلّى الله صدقَهم بالفعلِ الماضي المقترنِ بواوِ الجماعة **(اعترفوا)**، الذي حمل في معناه الصّدق والرّجوع الى الله طوعًا وإيمانًا بيقينٍ صادق، وحملَ في مبناه الإقرارَ المُسبقَ والاستقرارَ في حكمِ الحدثِ الّذي تحققَ في زمنِ الماضي وصار حقيقةً ماثلة في صحائفهم، ثمّ إنّ المبنى أيضًا باقتران الفعل بواو الجماعة أبرز دلالة الإجماع على الأمر والتّصديق بالعمل واليقين وتطويع النّفس لما رآه القومُ سلامة لهم وحقيقة لا تصحُ حقيقةٌ سواها، وهو ما يتناسب مع ما صحّ من أسباب النّزول، الّتي نقلها الواحديّ بقوله:" نزلت في قوم كانوا قد تخلّفوا عن رسول الله (ﷺ) في غزوة تبوك، ثمّ ندموا على ذلك، وقالوا: نكون في الكِنّ والظّلال مع النّساء ورسول الله (ﷺ) وأصحابه في الجهاد، والله لنوثقنّ أنفسنا بالسّواري، فلا نطلقها حتّى يكون الرّسول هو

الذي يطلقنا ويعذرنا، وأوثقوا أنفسهم بسواريّ المسجد، فلما رجع رسول الله (ﷺ) مرّ بهم فرآهم، فقال: "من هؤلاء؟" قالوا: هؤلاء تخلفوا عنك، فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتّى تكون أنت الّذي تطلقهم وترضى عنهم، فقال النبي (ﷺ): "وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أومر بإطلاقهم، رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين"، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فلما نزلت أرسل إليهم النّبي صلوات الله عليه وأطلقهم وعذرهم، فلما أطلقهم قالوا: يا رسول الله هذه أموالنا الّتي خلفتنا عنك، فتصدّق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا، فقال:" ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئًا"، فأنزل الله (ﷻ) ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ**﴾ [التوبة: 103]". (الواحدي، 1992)

ولأنّ اللهَ تعالى عادلٌ يجازي المرءَ عن كلّ ذرةٍ من أعمالِ الخيرِ والشّرِ بدليلِ قولِه (ﷻ):

﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه** ﴾ [الزلزلة: 7]، فإنهُ في هذه الآية موطن الدّرس، قد أسند الفعلَ **(خلطوا)** إلى واو الجماعة المقدّرة بالغائبين لتأكيدِ أنّ الّذي أراد أن يصفهم بالخالطين هو الله (ﷻ)، الّذي قدّم لهم العمل الصّالح على العمل السّيئ، أمّا الصّالح فقد ذكره الله بالعمل في قوله **(وعملا صالحًا)** كما في الآية، فكلمة **(عمل)** هي مصدرٌ ينصرف ويقبلُ الاشتقاقَ ومصدريتُه تحملُ جميعَ دلالاتِ الشّمولِ والامتدادِ إلى تطورِه وتنوعهِ، وأخّرَ اللهُ تعالى العملَ السّيئَ، ثم ذكرَه بكلمة **(آخر)** وهي النكرة التي تزول ويذهب صداها أمام غلبة الحسنة عليها، ولما كانت لفظة **(عملا)** تقبل الصّرف، فقد امتثلت للمفعولية أمام فعل الخلق بشمول معناه الذي ذكرناه من جهة، وبتمام حملها العلامة الإعرابية التي أغنت عن التّنكير (التّنوين)، بيد أنّ كلمة **(آخر)** التي حُرمت من الصرف، بقيت صغيرة أمام العملِ الصّالحِ، مُشرَكَةً معه في الخلقِ ولا تهيمنُ عليه ولا تشوبه؛ لما أرادَه اللهُ تعالى من غفرانٍ للخالطينَ باعترافِهم وصدق إيمانهم، ويتجلى كمالُ ذلكَ الفهمُ بالخبرِ المضارعِ الّذي يدلُ على السّيرورة والتّجددِ للفعلِ **(يتوبُ)** بعدَ الجملة الاسمية المؤكّدة، بـ**(إنّ)**.

وغرسُ اليقين في دوام التّوبة والغفران يتأكدُ أيضًا في إسناد الفعلِ إلى الله القادرِ على كلّ شيءٍ، لا سيما أنّ الذي يخبرُ عن ذلكَ هو الله. والفعل **(خذ)** هو من حكمِ الله عليهم؛ إذ جاء على سبيل الاستقبال، فهذا هو حكمهم وحكم من عمل عملهم بعدهم من الأقوام اللّاحقة، وأراد الله تعالى أن يكرمهم ويجازيَهم بدوام تطهيرِهم بصدقاتهم بالفعل المضارع المتجدد المستمر في معناه، وكذا في تزكيهم، ثم أمر الله نبيّه بالدّعاء لهم على سبيل الاستقبال بفعل الأمر **(صلِّ)** ويؤكدُ بـ**(إنّ)** ثبوتَ السّكينة فيهم واستحقاقهم ذلك برحمة الله، وأنهم يملكونَ بعدَ ذلكَ الدّعاءِ والطّمأنينة والرّاحة؛ بدلالة اللام التي تفيد الملكيّة في قوله **(لهم)**.

الخاتمة:

انصبّ البحث على آيات المنافقين في سورة التّوبة؛ للتحقق من ارتباطها بأسباب نزولها، الّتي يجب الوقوف عليها والعناية بها لمعرفة تفسير الآيات القرآنيّة وقصد سبيلها، وقد تبيّن أنّ سبب النّزول هو السّبيل القويّ الّذي يعين على فهم آيات الذّكر الحكيم وتدبّرها؛ لأنّ العلم بالسّبب يؤدّي بالضّرورة إلى العلم بالمسبَّب.

المصادروالمراجع

الكتب:

استيتيّة، س. (2003). *منازل الرؤية: منهج تكاملي في قراءة النصّ*. (ط1). عمّان: دار وائل.

أولمان، س. (د. ت). *دور الكلمة في اللغة*. (ط2). القاهرة: دار غريب.

الجرجاني، ع. (2005). *دلائل الإعجاز*. (ط1). مؤسسة الرسالة.

الزرقاني، م. (2013). *مناهل العرفان في علوم القرآن*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلميّة.

السكاكي، ي. (2000). *مفتاح العلوم*. (ط1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

السيوطي، ج. (2004). *الإتقان في علوم القرآن*. (ط1). بيروت: دار الكتب العلميّة.

الشّاطبي، إ. (2011). *الموافقات "التعريف بأسرار التكليف"* . (ط1). بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.

الطّبري، م. (2001). *تفسير الطّبري" جامع البيان عن تفسير آي القرآن"* . (ط1). مصر: مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر.

القطّان، م. (1980). *مباحث في علوم القرآن*. (ط7). بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.

ابن منظور، م. (2002). *لسان العرب*. القاهرة، مصر: دار الحديث.

الواحدي، ع. (1992). *أسباب النّزول*. (ط2). الدمام، السعودية: دار الإصلاح.

References

Books:

Al-Jerjani, A. (2005) ز *Evidence of miracles.* (1st ed.). Al-Resalah.

Alqattan, M. (1980). *Studies in the sciences of the Qur'an.* (7th ed.). Beirut, Lebanon: Al-Resalah.

Al-Sakaki, Y. (2000). *Key of Sciences*, (1st ed.). Beirut, Lebanon: Dar Alkotob Al-Elmiyah.

Al-Shatibi, I. (2011). *Approvals "Introducing Assignment Secrets".* (1st ed.). Beirut, Lebanon: Al-Resalah.

Alsouti, J. (2004). *Proficiency in the sciences of the Quran.* (1st ed.). Beirut, Lebanon: Dar Alkotob Al-Elmiyah.

Al-Tabari, M. (2001). *Tafsir al-Tabari, "Jami al-Bayan on the interpretation of the verse of the Qur'an"*.. (1st ed.). Egypt: Hajar.

Al-Wahidi, A. (1992). *Occasions of Revelations.* (2nd ed.). Al-Dammam: Saudi Arabia.

Al-Zarqani, M. (2013). *Sources of gratitude in the sciences of the Qur'an.* Beirut, Lebanon: Dar Alkotob Al-Elmiyah.

Estaiteh, S. (2003).*Vision Levels: An integrated approach to reading the text*, (1st ed.). Amman, Jordan: Dar Wael.

Ibn Manzour, M. (2002). *Lisan Al Arab*. Cairo, Egypt: Dar Alhadeeth.

Olman, S. (n.d). *The role of the word in language*. (2nd ed.) Cairo: Dar Ghareeb.